مآثر المرأة الفرنسوية

في الحرب الحاضرة

زارت سيدة من كرائم السيدات الانكليزيات فرنسا وشاهدت فيها ما صنعت نساؤها في سبيل الحرب وما تمّ على يديهنّ من جلائل الاعمال وقصّت ذلك في مقالة طويلة نشرتها في مجلة القرن التاسع عشر فلخصنا منها ما يأتي . قالت :

اول من اذكر من انسباء الفرنسويات اللواتي لبين داعي الوطن في هذه الحرب اعضاء جمعية الصليب الاحمر المشتملة على ثلاث جمعيات الواحدة جمعية اسعاف جرحى الجنود . والثانية جمعية نساء فرنسا . والثالثة جمعية النساء الفرنسويات . فان حرب سنة ١٨٧٠ أرت نساء فرنسا العواقب الوخيمة التي نشأت عن جهلهنّ وسائل الاعتناء بالجرحى والمرضى مما هو نتيجة قلة التمرّن وسوء النظام فتألفت جمعية الصليب الاحمر لمداواة الخلل وصار اعضاؤها يعدون بالالوف في كل بلد من بلاد فرنسا . ولا يقتصر عملهنّ على العناية بالجرحى والمرضى في الميدان الفرنسوي بل يجاوزه الى العناية بالمنكوبين خارج فرنسا بالحرب او غيرها من الكوارث الطبيعية كالاوبئة والزلازل . ومآثرهنّ بادية في سائر الميادين كرومانيا وسلانيك والصرب وايطاليا

وقد جرت عادت النساء المتزوجات والبنات من اهل الطبقة المتعلمة منذ سنين ان يحضرن خطب جمعية الصليب الاحمر ويتمرنّ على اعمالها فلما دعاهنّ داعي الحرب الحاضرة تقرن اليه عن طيب نفس حتى بلغ عدد المستشفيات التي كانت تديرها الجمعيات الثلاث المذكورة آنفاً سنة ١٩١٦ نحو ١٨٠٠ مستشفى

اما المستشفيات العسكرية والملاجئ الطبية التي يمرضن فيها غير مستشفياتهن الخاصة بهنّ فتفوق الحصر وهي كل يوم في ازدياد تبعاً لازدياد حاجات الجيش. هذا كلهُ يفعلنهُ بلا اجر ماديّ اي يقدمنهُ عفواً نوهبة منهنّ الى بلادهن ما عدا

شيئاً قليلاً لعينة الجمعية لسد نفقات بعض الاعضاء الفواتي لا يستطعن الانفاق على نفوسهن لعيدات عن بيوتهن

ولم ينحصر عمل النساء الفرنسويات في تمريض الجرحى والمرضى بل تعداه الى جميع مرافق الحياة فتولين ادارة الاعمال التجارية الكبرى وكان منهن محافظات ومعلمات ورئيسات بريد وفلاحات الى آخر ما هنالك

اما المحافظات فمنهن مدام فيكمون وكانت معلمة مدرسة رشحت نفسها في اوائل الحرب لتكون سكرتير محافظ مكان زوجها في احدى المدن . فضرب الالمان تلك المدينة بمدافعهم واحتلوها مدة ما ولم تترك هذه السيدة منصبها . ثم لما ارتد الالمان عن المدينة مرض محافظها وكان شيخاً طاعناً في السن فخلت محله

ومنهن مدام ماشير محافظة سواسون . فانها قابلت جيش الغزاة الالمان بقلب لا يهاب الموت ولما طلبوا حضور المحافظ اجابتهم انها هي المحافظ . واطالت في جدال القائد حتى توعدها بالقتل ولكنها لم تخش بأساً بل بقيت تجادله في القضائع التي ارتكبها جنوده

ومن اجل الاعمال التي قامت بها النساء الفرنسويات في خلال هذه الحرب مقاومة المسكرات . فانهن عقدن الجمعيات في جميع انحاء فرنسا ونادين بوجوب استئصال شأفة المسكر مبينات اضراره بالامة باحصاءات شتى نشرنها . ومن اعظم هذه الجمعيات شأناً واحدة عقدنها في النورمبون خاطبت بها برام . فان اهل الشأن تنبهوا لخطر المسكرات فاتخذت الحكومة تدابير كثيرة لتقييد تجارة المسكر ومنع شرب الابسنت

ومما ساعد على مقاومة المسكر الاندية التي انشأنها للجنود . وهي اماكن يقدم فيها الى الجنود اطعمة مغذية لذيذة واشربة مرطبة بدل المسكر وكتب وجرائد للمطالعة وادوات للكتابة والعاب للتسلية وظروف للاستراحة

ومن المشروعات التي لهن الفضل في انشائها « المشاغل » الملحقة بالمستشفيات العسكرية وفيها يعلم الجنود الذين اصيبوا باعاقات في الحرب صنعهم العمل حرفاً تنفعهم في المستقبل ويمرنون بها اعضاءهم المصابة . فقد رأيت في بعض هذه المشاغل

جنود مصابون بشلل جزئي في ارجلهم وهم يمرنونها بالعمل على آلات الخياطة . وبرئي آخرون قطعت احدى يدي الواحد منهم وهو يمرن الاخرى على الآلة الكاتبة حتى صار ماهراً فيها

ومنها اهتمامهن بصحة الاطفال ومنع موتهم على قدر الامكان . فالشأن لذلك ملاجئ عديدة قبل الحرب بسنين كثيرة . واول مؤسس لهذه الملاجئ مدام كرنيه وقرينها فانهما انشأ في باريس ملجأ سنة ١٩٠٥ كانت تتردد اليه النساء الفرنسويات من الاحياء الفقيرة واولادهن على اذرعهن ليربوا فيها وينشأوا رجالاً صالحين لخدمة اوطانهم اذا دعوا لها

والشيء على مثال هذه الملاجئ ملاجئ اخرى تديرها النساء وليس للرجال يد فيها منها ملجأ انشأته مدام دي بريسنه سنة ١٨٧١ غرضهُ الاول مساعدة الاولاد الذين نكبوا بفقد آبائهم في الحرب ليربوا ويعلموا في المدارس . ثم تعددت هذه الملاجئ حتى صارت اكثر من ان تحصى

شهدت مرة اجتماعاً في احدها خطبت فيهِ مدام جرل سيجفريد صديقة الفقير خطبة هي نموذج الروح التي تدب في صدور النساء الفرنسويات في هذه الحرب وخير رد على الذين يرمون الى عقد الصلح معهم لكي صنتهُ . ومما قالت فيها « اذا كانت قلوبنا تشتاق الى الصلح فان ضمائرنا تكص عنهُ الآن »

ومن الجمعيات التي انشئت لمنفعة الامهات والاولاد جمعية غايتها ايواء الاولاد الذين نكبوا بخراب بيوتهم في الحرب وهي تأوي الآن ١٥ الف ولد وتديرها مدام مانجيه . واخرى تديرها سيدة اخرى وثالثة تديرها سيدة ثالثة

على ان الاعمال التي اشتهرت النساء الفرنسويات بها خصيصاً في هذه الحرب انما هي الاعمال التي كانت تعدُّ قبل الحرب خارج دائرة اختصاصهن وهي حرث الارض وزرعها . فان تعبئة الجيش الفرنسوي سنة ١٩١٤ جاءت في وسط الحصاد ولكن الاعمال بقيت جارية مجراها المعتاد كأن لم يحدث شيء خارق العادة . فالزروع حصدت ودرست والمواسم جمعت ثم حرثت الحقول وزرعت للسنة الثانية

قال رئيس احد المعاهد الزراعية الكبرى في خطبة : من حسن حظنا ان النساء بيننا في محنتنا . فابين كلهن فتيات وفقيرات عجائز وصبيات ساعدننا بهمة وشجاعة . ولما دعاهن وطنهن فمن بنصره سواء في ذلك ابنة النعمة والرغد وقعيدة الدير والمرأة التي لم يكن لها شغل يشغلها سوى البرنيطة المركشة تلبسها والبيانو تضرب عليه . فصرن فلاحات مجتهدات ينهضن الساعة الخامسة صباحاً للعمل في الارض والعناية بالمواشي في زرائبها وحظائرها »

تعلمت بابنة عمرها اربع عشرة سنة دعي ابوها الى حمل السلاح فتولت بنفسها تربية اخوتها الصغار لان امهم ميتة وادارة مزرعة كبيرة فابدت براعة فائقة . ومثيلاتها كثيرات في جميع انحاء فرنسا حتى البلاد التي خربها الالمان في اثناء مرورهم بها

ومن مساعيهن الحسان التعيش عن اقرب الاولاد الذين ضاعوا وسط هيزعة الحرب . فقد تولى هذه المهمة مجلس النساء الفرنسويات الوطني ولة في باريس مكتب مركزي فيه ٦٥٠ موظفاً . ومما يدلك على نتائج عمله انهُ فتش عن اقارب ٤٠٠ الف ولد ضائع فوجد اهل ٥٠ الفاً منهم

ومن اغرب اعمالهن تولين اعمال ازواجهن بعد ذهابهم الى ميادين القتال فقد رووا عن امرأة عسكري انها حلت محل زوجها في عسكرته ولم يقل دخلها عن دخله

وتولين سوق مركبات الترام في باريس فلم تستهل سنة ١٩١٥ حتى كان منهن ٦٥٠ سائقة في باريس وحدها وزاد عددهن بعد ذلك كثيراً . وبلغ عدد السائقات في مركبات المترو حينئذ ١٣٠٠ . وفي بنك الكريدي ليونه في باريس ١٢٠٠ عاملة وبنك فرنسا ٧٠٠ وشركات سكك الحديد ٦٧٠٠

وقد ابدين حذقاً ومهارة عجيبين في عمل القنابل حتى لقد خصت ٨٠ الف قنبلة صنعنها في معمل فيه ٨٣٥ امرأة فوجد ان قنبلة واحدة فقط لم تكن ضمن المرام . انتهى باختصار كثير